

- نَعَمْ، وَلَكِنْ حَلَفْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَأْكُلَ.
- شَكَرْتُهُ وَأَكَلْتُ مِنْ قَصْعَتِهِ.
- سَمَّ اللَّهَ وَكُلَّ يَا شَيْخُ.
- جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.
- أَبَدًا يَكْفِي اثْنَانِ، دَائِمًا أُحْضِرُ فُطُورَ جَارِي فِي الْمَقْعَدِ.. أَتَعْرِفُ أَجَرَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا.. لَا شَكَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ يَا شَيْخُ.
- دَعَوْتُ لَهُ، وَأَخَذْتُ تَحْتَ إِلْحَاحِهِ أَكُلُ، وَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَنْ أَسْرَتِهِ وَمَصَاعِبِهِ الْمَادِيَّةِ. فَبَدَأَ إِيمَانُهُ غَمِيقًا، وَتَوَكَّلَهُ مُطْلَقًا مَعَ مَا يُوَاجِهُهُ مِنْ نَوَائِبِ.
- لَا أَمْلِكُ بَيْنًا وَلَكِنِّي مُطْمَئِنٌّ.. مُطْمَئِنٌّ تَمَامًا لَوْ نَزَلَ الْقَضَاءُ قَرِيبًا.
- كَيْفَ، هَلْ هُنَاكَ أَقْرَبَاءُ يَرْعَوْنَ أَسْرَتَكَ؟
- يَا شَيْخُ، كُنْتُ أَحْسَبُكَ سَنَفَهُمْ. وَرَاءَهُمْ مَنْ يُطْعِمُ الطَّيْرَ فِي أَعْشَاشِهَا، وَيَرْزُقُ الْأَجِنَّةَ فِي الْأَرْحَامِ.. لَنْ يَنْسَاهُمْ رَبُّهُمْ، إِنِّي أَتْرَكُهُمْ فِي حَالٍ أَسْعَدَ مِنْ حَالِي، حِينَ تَرَكْنِي وَالِدِي يَتِيمًا...
- دَعَّ عَنْكَ الْمُسْتَقْبَلَ وَتَأْمِينَهُ.. لَا يُؤْمِنُ الْقَادِمَ إِلَّا رَازِقُ كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطِبٍ !!
- صَدَقْتَ، لَكِنَّ الْأَسْبَابَ مَطْلُوبَةٌ.
- عَلِمَ اللَّهُ أَنَّنِي لَمْ أُقْصِرْ... هَاأَنْذَا أَقْطَعُ رِحْلَتِي السَّبْعِينَ طَلِبًا لِلْعِلَاجِ. وَهَاهُمْ أَهْلِي يَطْلُبُونَ مِنِّي أَنْ أَقْلَلَ مِنْ جُهْدِي بِسَبَبِ الْمَرَضِ.. إِنَّنِي أَعْمَلُ الْقَهْوَةَ فِي حَفَلَاتِ الْأَعْرَاسِ... وَهِيَ مَسْتُورَةٌ... مَا دَامَ أَنَّهُ رَزَقٌ شَرِيفٌ، وَكَذَحٌّ لَا يَعْيبُ.. فَأَنَا بِخَيْرٍ.
- اسْتَمَرَّ الْحَدِيثُ حَتَّى قَطَعَتْهُ إِطَارَاتُ الطَّائِرَةِ وَهِيَ تَرْتِطُ بِالْأَرْضِ.. وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا شَعَرْتُ بِالْإِرْتِبَاطِ بِهَذَا الْإِنْسَانِ الْبَسِيطِ، لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ مَعَانِي عَظِيمَةً نَعْرِفُهَا جَمِيعًا، لَكِنْ لَا يُطَبِّقُهَا أَوْ يُمَارِسُهَا بِتِلْكَ الْقَنَاعَةِ سِوَى مَنْ رَزَقُوا تَوَكَّلَ الطَّيْرُ الْخِمَاصِ وَهِيَ تَغْدُو. كَمْ كَانَ رَائِعًا وَهُوَ يَضَعُ مَفَاهِيمَ الْقَدَرِ وَالسَّبَبِ. وَكَمْ كَانَ مُقْنَعًا وَهُوَ يَعِيشُ النَّظَرِيَّةَ وَالتَّطْبِيقَ بِلا انْفِصَامٍ. كَمْ كَانَ كَرِيمًا وَهُوَ الْفَقِيرُ، وَمُقْدَمًا وَهُوَ الضَّعِيفُ، وَشَرِيفًا وَهُوَ الْمُكَافِحُ، وَمُطْمَئِنًّا فِي عَصْرِ الْقَلَقِ.
- وَدَعَّاهُ وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: «اللَّهُمَّ امْنَحْنِي إِيمَانًا كَأَيِّمَانِ الْعَجَائِزِ» وَتَفَارَقْنَا وَأَنَا أُصِرُّ أَنْ يَقْبَلَ دَعْوَتِي لِإِيصَالِهِ لِلْمُسْتَشْفَى، وَهُوَ يُجِيبُ بِلَهْجَةٍ حَازِمَةٍ:
- سَائِقُ سَيَّارَةِ الْأَجْرَةِ يَنْتَظِرُنِي.. إِنِّي أَعْرِفُهُ، وَأَنَا أَعِينُهُ وَهُوَ أَبُو الْعِيَالِ، عِنْدَمَا أَنْقُذُهُ الْأَجْرَةَ.. لَا جَعَلَكَ اللَّهُ سَبَبًا فِي قَطْعِ رِزْقٍ مُحْتَاجٍ !!!
- حَقًّا كَمْ هُوَ عَظِيمٌ هَذَا الدِّينُ، وَهُوَ يُحَوِّلُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ إِلَى أَمَثَلَةٍ لِلْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْإِيمَانِ الْغَمِيقِ فِي عَصْرِ الْقَلَقِ وَالْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ !!.

الْقِصَّةُ الثَّانِيَّةُ: إِذَا كُنْتَ تَسْتَطِيعُ فافْعَلْ.

أَتَى رَجُلٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَذْهَمَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنِّي مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِي، فَأَعْرِضْ عَلَيَّ مَا يَكُونُ لَهَا زَاجِرًا وَمُسْتَقْدًا. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ قَبِلْتَ خَمْسَ خِصَالٍ وَقَدِرْتَ عَلَيْهَا، لَمْ تَضُرَّكَ مَعْصِيَةٌ. قَالَ الرَّجُلُ: هَاتِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا الْأُولَى، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى، فَلَا تَأْكُلْ مِنْ رِزْقِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: فَمَنْ أَيْنَ أَكَلُ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ رِزْقُهُ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا، أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَأْكُلَ رِزْقَهُ وَتَعْصِيَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، هَاتِ الثَّانِيَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ، فَلَا تَسْكُنْ شَيْئًا مِنْ بِلَادِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: هَذِهِ أَعْظَمُ، فَأَيْنَ أَسْكُنُ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا، أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَسْكُنَ بِلَادَهُ وَتَعْصِيَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا... هَاتِ الثَّلَاثَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ رِزْقَهُ، وَتَسْكُنُ بِلَادَهُ، فَانْظُرْ مَوْضِعًا لَا يَرَاكَ فِيهِ فَأَعْصِهِ فِيهِ. قَالَ الرَّجُلُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا هَذَا وَهُوَ يَطَّلِعُ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَأْكُلَ رِزْقَهُ، وَتَسْكُنَ بِلَادَهُ وَتَعْصِيَهُ وَهُوَ يَرَاكَ، وَيَعْلَمُ مَا تُجَاهِرُ بِهِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، هَاتِ الرَّابِعَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِذَا جَاءَكَ مَلَكُ الْمَوْتِ؛ لِيَقْبِضَ رُوحَكَ، فَقُلْ لَهُ: أَخْرَنِي، حَتَّى أَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَأَعْمَلَ صَالِحًا. قَالَ الرَّجُلُ: هَاتِ الْخَامِسَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِذَا جَاءَكَ الزَّيْنَانِيَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيَأْخُذَكَ إِلَى النَّارِ، فَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمْ. قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّهُمْ لَا يَدْعُونِي، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنِّي!! يَا إِبْرَاهِيمُ، حَسْبِيَ حَسْبِي. أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. فَكَانَ لِتَوْبَتِهِ وَفِيًّا: فَلَزِمَ الْعِبَادَةَ، وَاجْتَنَبَ الْمَعَاصِيَ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

(مِنْ كِتَابِ الْأَجُوبَةِ الْمُسَكَّتَةِ)

الْقِصَّةُ الثَّلَاثَةُ: ضَيْفُ الْمَسَاءِ.

عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلًا جَهْدَهُ الْجُوعُ؛ فَفَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ لَكَ أَنْ نَطْوِيَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ لِضَيْفِنَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَادْنِي إِلَى السَّرَاجِ، كَأَنَّكَ تُصْلِحِيْنَهُ فَأَطْفِئِيْهِ، فَفَعَلَتْ. وَجَاءَتْ بِشَرِيْدَةٍ، كَأَنَّهَا قِطَاعَةٌ فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمَا، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصْلِحُهُ فَأَطْفَأَتْهُ. فَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقِصْعَةِ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً؛ فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ، صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ: «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ»؛ فَفَزِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ: أَيُّ كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَذَا وَكَذَا (قَوْلُهُ لَامْرَأَتِهِ)؛ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: كَانَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: «فَوَاللَّهِ، لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكُمَا اللَّيْلَةَ».